فكتابه الذي يقع في ٣٦٧ صفحة والذي يحوي سبعة فصول ، يتناول تاريخ الحركة الشيوعية في فلسطين ، التي هي جزء لا يتجزأ من تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية . لقد قام المؤلف بجهد كبير واعتمد على عدد ضخم من الوثائق والوقائع محللاً في بحثه ، نشأة الخلايا الشيوعية الفلسطينية وتطورها وفترات صعودها وانتكاساتها .

في الفصل الأول يتناول الكتاب المرحلة التاريخية التي بدأ فيها تشكل الوعي القومي عند العرب واطره التنظيمية . ويتوقف بايجاز شديد معالجاً الأرضية الاقتصادية والفكرية للبرجوازيات العربية في المشرق العربي . وينتقل بعدها الى الساحة الفلسطينية ليستعرض دور البرجوازية الفلسطينية . فكلامه عن البرجوازية الفلسطينية في الثلث الأول من هذا القرن ودورها القيادي يتكرر أكثر من مرة (ص ٣١ - ٣٢) .

ان استعمال مفهوم البرجوازية الكومبرادورية برأينا هو تعبير أدق في المعنى الاقتصادي لهذه الكلمة . ذلك لأن « البرجوازية » التي يتكلم عنها الأستاذ سمارة لم تصل في تلك الفترة ولا حتى بعدها الى مرحلة تكامل كافة معالمها كالبرجوازية التي نشأت في ظل التشكيلات الاقتصادية ـ الاجتماعية، حيث لعلاقات الانتاج الرأسمالية العنصر الحاسم في التشكيلة . فـ « البرجوازية » الفلسطينية كانت في طور التكوين ، ودورها منذ بداية نشوئها ، في ظل المعادلة الاقتصادية ـ السياسية العالمية ، وفي ظل وصول الرأسمالية الاحتكارية الى مرحلة الامبريالية ، كان دوراً تبعياً ؛ اذ انها شكلت مع الاقطاع تحالفاً طبقياً قاد ـ لسوء الحظ ـ الحركة الوطنية الفلسطينية حتى اواخر النصف الأول من الثلاثينات . هذا من جانب ، ومن جانب آخر ان بداية تكونها جاءت مع بداية تركيز وتثبيت المشروع الصهيوني الاستيطاني على الساحة الفلسطينية مما وضعها في موقع المدافع عن النفس والبقاء امام الخطر الذي بدأ يهددها .

كما يتناول أيضاً في الفصل الاول مع شيء من الاسهاب ، موقف الحركة الوطنية الفلسطينية في بداية العشرينات من الانتداب البريطاني ومن المشروع الصهيوني ، مستهدفاً من وراء ذلك وضعنا في الجو التاريخي للأحداث التي رافقت نشوء الحركة الشيوعية في فلسطين .

جذور الحركة الشيوعية في فلسطين النشوء والمواجهة

هذا هو عنوان الفصل الثاني الذي يعالج فيه المؤلف مخاطر المشروع الامبريالي الصهيوني فيقول : « اذا كان مشروع السيطرة الامبريالية على المنطقة العربية قد فرض ضرورة تحطيم اسس النهوض القومي لهذه المنطقة واعاقة النمو الطبيعي لتشكيلاتها الاجتماعية ، فإن هذا المشروع قد اضاف الى هذه المهمات ، مهمة اخرى خاصة بفلسطين ، تقوم على ضرورة إلغاء الكيان القومي بهذا الجزء من المنطقة العربية ،وفي ضوء ذلك ، لا يكون المطلوب اعاقة النمو الطبيعي للتشكيل الاجتماعي الفلسطيني كما حدث في سائر الأقطار العربية ، بل تدمير التشكيل نفسه » (ص ٤٣) .

اذن ، فالمشروع الصهيوني الذي جاء على اساس الشعار التالي « أرض بلا شعب لشعب بلا وطن » ، يستهدف استيطان الارض الفلسطينية بمساعدة الدول الامبريالية لخلق دولة تكون بمثابة الأداة الضاربة المدافعة عن مصالحها . ولكي يكون حجر عثرة اساسي في قلب العالم العربي الطامح الى الوحدة والتقدم الاجتماعي . في ظل هذا الواقع ، نشأت كافة الأحزاب السياسية في فلسطين ، التي كان لكل منها برنامجه السياسي الخاص به . فالأحزاب الصهيونية كانت تعمل من اجل ترجمة قرارات المنظمة الصهيونية العالمية ووعد بلفور الى حيز الواقع العملي . والاحزاب التقليدية القومية العربية كانت تجابه مشروع برامج الاحزاب الصهيونية ليس حباً أو التزاماً بمطامح ومصالح الجماهير العريضة العربية ـ اليهودية ، بل انطلاقاً عن حرصها على مصالحها هي بالذات ، لذا ، كانت في صراعها ضد المشروع الصهيوني تستهدف ضرب المزاحم الاساسي على املاكها وسوقها، وكانت تتبع منذ البداية سياسة مهادنة الامبريالية الانكليزية طالبة منها المساندة والدعم . ولقد تمكنت في الواقع من تأطير الجماهير الفلسطينية العريضة حول برامجها عقدين من الزمن فهي بحكم الحفاظ على مصالحها ، وبحكم تخلفها الفكري والسياسي ، احدثت ثغرات ومداخل عديدة تمكنت بواسطتها الاحزاب الصهيونية بمساندة الانتداب البريطا
من الزيادة التدريجية لرقعة نفوذها ع
والاقتصاد الفلسطيني بشكل عام . و
مساعداً للأحزاب الصهيونيه هو غيا